



منذ أن تقسمت ولايات دولة الخلافة العثمانية وتحول القوميات المسلمة من الهوية الإسلامية الواحدة إلى هوياتهم المتعددة بدفع من الاحتلال الإنجليزي بعد أن وعد تلك القوميات بالاستقلال، يعاني الأكراد منذ تلك الفترة الطويلة من انسلاخ في الهوية الإسلامية السنوية، هاربين منها إلى الهوية القومية، غير أن الإنجليز لم يلتزموا بوعيدهم مع الأكراد ولم يمنوهم استقلالهم، وبات حلم "الدولة الكردية" مقطعاً، وعبارة عن أراضي من دول تركيا والعراق وإيران وسوريا، وناضل أجيالهم من أجل هذا الحلم ودفعوا الدماء وعانوا الأمرين مما عزز انسلاخ هويتهم الإسلامية، واستعاناً بكل مستعمر يدخل تلك البلدان سعياً لمنهم هذا الحق، أو كما يعتقدون هم بذلك.

حتى جاء احتلال العراق الذي منهم ميلاد دولتهم "كردستان" بإقليم شبه دولة تعنيها لمخطط تقسيم المقسّ، وقبل ذلك نظام صدام حسين السابق قد يكون أفضل من أعطى الأكراد حقهم دون سلخهم من دولة العراق، فأعطاهم حكماً ذاتياً داخل دولة العراق، لكنهم لم يكتفوا وطمعوا بال المزيد، فتعاونوا مع إيران في حربها على العراق في الثمانينات وكذا الحال مع الاحتلال الأمريكي في حربه الأولى والثانية ضد العراق، فكانوا كرفقاء في المكون الشيعي عوناً لهم في الاحتلال بلدهم.

ومن ذلك التاريخ - احتلال العراق - بدؤوا سريعاً العمل على تنفيذ مشروعهم، وبدأت تظهر تصرفات سياسياتهم الأنانية ودعواتهم الانفصالية التي تتعاظم كل يوم، حتى أصبح حلمهم ثابتاً من الثوابت يجب أن يقره كل عراقي، ويجب أن يبقى أبداً الدعر يعتذر لهم لسلبيهم هذا الحق. وبهذه الأجواء تحرك الأكراد بمكر ومن وراء أضواء الإعلام بعمليات تطهير عرقي من العرب في مناطقهم، تحديداً عام 2003 أول سنة للاحتلال الأمريكي، إذ بدأ الأكراد بإرغام المواطنين العرب بالهجرة من مناطقهم عن طريق التهديد والمال باتصالهم بأصحاب البيوت العرب والتركمان وشراء بيوتهم بأضعاف أسعارها العادلة، ثم جرت عمليات إخراج العوائل العربية عنوة في المدن الكردية من قبل مليشيات البيشمركة بحجج كاذبة، منها أن النظام السابق قد قام بتوطينهم، وفعلاً بدأ هجراً عراقياً مرغمين هاربين بجلدهم، وانتقلت هذه العدواي إلى كركوك أكثر

مدينة مختلطة بأطياف المكونات العراقية والتي يتساوى تقربياً فيها الأكراد والعرب والتركمان من حيث التواجد، إضافةً لأنقليات أخرى تتوارد فيها أيضاً، وصارت المدينة الإستراتيجية الغنية بآبار النفط مسرحاً لعمليات التهجير واستهداف العرب السنة، إذ قامت المليشيات البيشمركة الكردية بحملة تطهير عرقية ضد العرب عن طريق الهجوم على المناطق السكنية العربية لتفرض على السكان مغادرة بيوتهم والتخلّي عن أراضيهم، وكذلك انتقلت العدوى إلى نواحي في المحافظات المجاورة للإقليم والتي يختلط الأكراد فيها مع العرب والتركمان يطالب الأكراد بأحقيتها وضمها لإقليمهم، ثم اتخذت حملة التطهير العرقي الكردية طابعاً شرعاً بعد إصدار البرلمان الكردي قانوناً يقضي بمصادرة ممتلكات العرب القاطنين في المنطقة بعد عام 1957 وإحلال الأكراد محلهم، ودعي القانون آنذاك إلى توسيع مساحة المحافظات الكردية الثلاث (أربيل ودهوك والسليمانية) لتسقط العديد من الأقضية والنواحي من محافظات الموصل وكركوك وديالى، وكان هذا القانون ممهداً لمرحلة جديدة برسم الدستور العراقي الجديد الذي وعد فيه المبعوث البريطاني للعراق آنذاك بإقرار حق توسيع مناطق الكيان الكردي في بنوده.

وأعلن المحتل الأميركي مشروع الدستور العراقي الذي كان دور سياسي الأكراد فيه دور العراب، وانصبّت مسامي الأكراد في إقناع السنة الذين كانوا يرفضون إمضاء الدستور والعملية السياسية، وقدم الأكراد وعدها لسياسي السنة نكثوها لاحقاً، ووافق السياسيين السنة على العروض الكردية، والأكراد كانوا أشدّ الحرص على إمضاءه كما فعل الشيعة، لأنّ الطرفان رسموا بنود الدستور بما يخدم قضية مكونيهم بعيداً عن المصلحة الوطنية، وبالطبع بعيداً عن أهل السنة، جرى تزوير الاستفتاء في مسرحية هزلية، ومضى مشروع الأكراد في الانفصال وعزّزوا إقليمهم "إقليم كردستان العراق" متذمّه شبه دولة بعد أن جираوا ذلك الدستور، وصاروا حالة فيدرالية خاصة لم تحدث في تاريخ الدول كلها، لهم دولة منفصلة، ولهم في دولة العراق، تجدهم ساعة يصرخون بدولتهم "كردستان" وحق تقرير المصير والانفصال، وساعة أخرى يطالبون بحقوقهم في العراق. لهم علمهم الخاص، ولهم برلمانهم الخاص، ولهم دستورهم الخاص، ولهم جيشهم الخاص، وعند دفع المستحقات المالية من ثروات العراق يتباكون ويستصرخون بحقوقهم "الوطنية" رغم سرقةهم للنفط العراقي في أراضيهم.

وبمكر وخداعة وقف الأكراد مدافعين حينما شاهدوا المكون الشيعي يستهدف شريكهم المكون السنّي بأجندة إيرانية، وأعلنوا في تصريحات رنانة وقوفهم مع السنة، لكنهم لم يكونوا أبداً كما أعلنا، إذ كان مكون الأكراد - ويفعل هذا للاليوم - يستخدم السنة كأوراق يستغلها ليلعب بها مع المكون الشيعي، فهم حينما يجد الجد وتنتهي العاب الجذب والشدّ تجدهم إخوة متحابين مقصين بذلك شريكهم السنّي في صنع القرار بعد أن يتفقان. تبرز تلك العلاقة خاصة في الأحداث المحورية للمشهد العراقي، أي عند إقرار الدستور والاستفتاء عليه وتشكيل الحكومات المتعاقبة و اختيار الرؤساء الثلاث (رئيس الجمهورية ورئيس البرلمان ورئيس الوزراء) وامضاء القوانين وغيرها من تلك الأحداث.

ولأن السياسي السنّي ضعيف بلا حاضنة من دولة إقليمية عكس غرمانه، كان يقبل بذلك ويرضى أن يساند الكردي الأجندة الإيرانية على حساب جراح أهل السنة وما سيهم، وبرز كذب تلك التصريحات والإعلانات أكثر في معركة الفلوجة الثانية، ذاك الحدث الأهم في تاريخ السنة، إذ اشترك الأكراد بميليشياتهم البيشمركة مع الحرس الوطني الشيعي في الصفوف الأولى حينما حشدّهم الاحتلال الأميركي على أبواب الفلوجة لقتال فصائل المقاومة العراقية السنّية، والتي انتهك فيها المحتل الأميركي الجرائم والفضائح بحق المدنيين، وحقق الأكراد من تلك المعركة مصلحتهم على حساب السنة، تلك المصلحة التي هي فوق كل شيء، فهم كانوا ينعمون بأمن رغيد مقارنة بالمحافظات السنّية التي كانت تعاني ويلات حرب الاحتلال الأميركي، ولم يقاوم الأكراد الاحتلال أبداً - إلا ما ندر من فصائل كردية تحمل هوية إسلامية بعيدة عن تلك الأحزاب القومية لأنصار الإسلام - وكفوا أنفسهم عن ذلك الواجب الوطني كما فعل الشيعة، تاركين السنة وحدهم في مواجهة الأميركي، واستغل

الأكراد ذلك الوضع بدعم أمريكي متواصل حتى اليوم، دعما لمصلحة "دولة كردستان". نفسها تلك المصلحة التي رسمت سياسة دولة الإقليم التصالحية مع محيطها بالاستعانة مع أمريكا، فمصالح الأكراد مع إيران و الكيان الصهيوني و تركيا.

تتضخ صور ذلك التصالح مع إيران مثلا التي تعاني من عقوبات دولية، فتح الإقليم أبوابه شرقا أمام التجارة الإيرانية في كردستان، وتتضخ الصورة أكثر في إنشاء إيران لمدارس إيرانية في كركوك وأربيل إضافة لبناء الحسينيات إلى غيرها من التصريحات والزيارات الودية المعلنة بين الطرفين، ومع أن إيران تستخدم التركمان الشيعة كورقة مع الأكراد، إلا أن تلك الأوراق لا تظهر كثيرا إلا عند الشد والجذب، كذلك يفعل الأكراد مع الكيان الصهيوني بعد أن أعلن تصدير النفط الذي يستولي عليه من العراق للكيان الصهيوني مخالفًا دستورهم الذي كتبوه، إضافة لتصريحات ودية وصور اللقاءات في أكثر من مناسبة مع الشخصيات الصهيونية وعلى العلن.

ونظرا للمصلحة الكبرى فقد شملت صور هذه السياسة التصالحية حتى تركيا التي تمثل أكبر تهديدا لحلم "دولة كردستان"، فمقابل سكوت تركيا عن الدولة الناشئة، فتح الأكراد أبواب إقليمهم الشمالي للأترارك كي يكون الإقليم معبرا نحو الجنوب الشرقي الآسيوي، إضافة لما يمثله ذلك الكيان الكردي من منطقة هادئة حاجزة يحمي تركيا من لهيب الحروب المشتعلة في العراق.

حتى جاءت أحداث سقوط الموصل بيد تنظيم داعش والتي تلتها سقوط متهاوي لمدن أخرى سنية من يد الحكومة المركزية وهروب جيشه، غيرت تلك الأحداث كل موازين المنطقة وتأثرت فيها كل القوى، لكن الأكراد كانوا المستفيد الأول من هذه الأحداث، فقد استغل البيشمركة انسحاب الجيش العراقي ليسرق سلاحه والياته ويستولي على معسكراته، إضافة لتقديمه في كركوك والتي كان يطالب سابقا بضمها لإقليمه، غير أن تصريحات برباني رئيس كردستان جاءت مؤكدة أن لامجال للحديث عن كركوك كما هو حالها قبل أحداث الموصل في تقاسم سلطة الحكومة المركزية وسلطة الإقليم إدارة المدينة، وكذلك طالت أيدي البيشمركة على النواحي التي كانت يطمع الإقليم بضمها له في المحافظات المجاورة ديالي والموصل وصلاح الدين.

كما أشعل الأكراد من هذه الأحداث قضية إيزيدى سنجار الذين تعرضوا للطرد من قبل تنظيم داعش كما فعلوا مع المسيحيين وممن يخالف فكر داعش، استطاع الأكراد تدويل القضية بمساعدة أمريكية ليتم تشكيل خلايا مسلحة من الإيزيدىن ودعمها لتتولى عمليات التطهير العرقي الكردي بحق العرب بدل البيشمركة بحجة مظلوميتهم، حيث قامت الميليشيات الإيزيدية بعمليات انتقامية ضد 12 قرية عربية في منطقة سنجار أسفرت عن مقتل العشرات وتهجير عدد كبير من أبناء العشائر العربية بالإضافة إلى نهب وسلب أرزاق الناس كرد فعل على المجازر التي ارتكبها تنظيم داعش ضدهم.

ونذكر أحد أعيان العشائر العربية آنذاك رد قائد الميليشيات الإيزيدية (قاسم ششو) حينما قالوا له أنهم جيران ولا يجوز ما يفعلونه، قال: "كنا جيران في السابق أم اليوم فلا" طالبا منهم الخروج من قراهم مع عائلاتهم وعدم العودة لها مطلقا، وتحدث الأهالي عن عمليات قصف بالهاونات سبق الهجوم على القرى من قبل تلك الميليشيات وقع ضحيتها عشرات المواطنين بين قتيل وجريح، تلاها عمليات حرق ونهب للبيوت والأموال وممتلكات المواطنين من سيارات وغيرها، إضافة لاعتقال شبابهم بحجة مساندتهم لداعش، وأن البيشمركة على تواطؤ مع تلك الميليشيات بتلك الانتهاكات، إذ يجري الأمر أمام أعينهم وتحت سلطتهم، وحتى عودتهم للمجتمع الدولي بإجراء تحقيقات لم تجد على أرض الواقع مكانا، وذكر مراقبون أن البيشمركة مهدت لأحداث اعتداءات الإيزيدىين على العرب، إذ قامت مسبقا بتفتيش تلك القرى وتجريد الأهالي من الأسلحة، والتأكد بعدم وجود حماية كافية تحميهم من أي اعتداء، وحتى مع مليشيات المكون الشيعي الحشد الشعبي، وقفت البيشمركة

متفرجة على اعتداءات الحشد في خانقين وجلواء ومناطق أخرى، مدافعة فقط عن ممتلكات الأكراد، مفسحة المجال لاستنزاف العرب السنة وإضعافهم في تلك المناطق.

وللإقليم الدور الأبرز في دعم أكراد سوريا لمواجهة العرب وتمديد حلم "الدولة الكردية" وإنما لسياسة تغيير ديمغرافية المنطقة، فبالإضافة للتسلیح والدعم اللوجستي، دفعت كردستان بفصائل كردية عراقية مسلحة نحو سوريا في سياسة مشابهة لما قام به المكون الشيعي من إرسال فصائله دعما لنظام بشار الأسد، وكما هي سياسة الأكراد في العراق دفع الإقليم أكراد سوريا لمصالحة بشار الأسد كي يواجهوا سنة سوريا وثوارها كلا لأهدافه ومصالحه الخاصة، وبدأت سياسة الأكراد بتوحيد جبهة القتال مع داعش في سوريا والعراق مستغلين الدعم الدولي لهم بالمال والسلاح والغطاء، ذلك الغطاء الذي غطى عن انتهاكات الفصائل الكردية بحق سنة سوريا العرب، إضافة لعب إقليم كردستان العراق دوراً بارزاً في دعم كرد تركيا بهدف تقسيم البلد وانضمام أراضي الأكراد للدولة الحلم، فكان له دوراً بارزاً بالتفاوضات مع تركيا من أجل حلحلة الوضع الكردي السياسي المتأزم، راسماً بذلك مراحل خفية تنتهي بانفصال أكراد تركيا، لذلك الأكراد يعملون بتلك القوة برضى صهيوني وإيراني ويدعم أمريكا، ذلك الدعم الذي تهدف منه أمريكا استخدام الأكراد كأوراق لإمساء مشاريعها في المنطقة مع اللاعبين الإقليميين الأتراك والإيرانيين والخليجيين والصهاينة والروسين.

لكن السؤال هنا، هل ستفي أمريكا بوعودها مع الأكراد؟ أم ستغدر بهم كما فعل معهم البريطانيين؟ خاصة بوجود اللاعب التركي الرافض لأي دولة كردية على حدوده والتي ستهدد بلده بالتقسيم، والإيراني الذي يخشى أن تصل أيادي الأكراد يوماً أرضه التي يتسع فيها أراضي أكراد إيران السنة إضعاف أراضي كردستان العراق، هذا الدعم الأمريكي لأكراد العراق والذي يقابله الدعم الإيراني لشيعة العراق يطرح سؤالاً آخر، أين العمق الإسلامي السنّي العربي بمواجهة هذين العمقين الطائفيين القومي الكردي والمذهلي الشيعي الإيراني؟

لماذا يترك اللاعبين الإقليميين السنة العراق يواجهون مصيرهم وحدهم بدون دعم أو حاضنة يدفعون بها الأذى عن بلادهم وعن الأمة؟.

وللإنصاف، فإن هوس الانفصال عند الأكراد هذا لا يعم عموم الشعب الكردي، فالأكراد كأقرانهم في القوميات المسلمة شعب سني مسلم فيهم الصالح والطالع، فيهم الكثير يرفض لغة العنصرية القومية ويضع دينه وعقيدته فوق تلك المسميات، ويرفضون سياسات ممثليهم السياسيين، وهم كثُر، ولكنهم ليسوا في قيادة المكون الكردي، واتضحت هذه الصورة حينما فتحوا ذراعهم وبيوتهم عندما نزح العرب السنة لكردستان العراق هاربين من لضي المعارض، بالرغم من تحضيرات حكومة كردستان وعقباتها وبالرغم من الهمز واللمز وأحياناً الاعتداءات من بعض الأكراد المنتسبين للأحزاب القومية المتعصبة.